قادة فتح أفغانستان من الصحابة[1]

١ ـ الربيع بن زياد الحارثي[2]

٢ ـ عاصم بن عمرو التميمي[3]

٣ ـ عبد الرحمن بن سمرة العَبْشَمِيّ

٤ ـ الأقرع بن حابس التميمي

---

(١) هناك قادة من التابعين سيأتي ذكرهم على رأسهم الأحنف بن قيس التميمي، وعبدالله بن عامر بن كُرَيْز العَبْشَيميّ.

(٢) مرّت ترجمته من قبل.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤١٦) الصحابي القائد الفاتح
عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب القرشي العَبْشَمِيّ
فاتح بلاد الأفغان

هو الصحابي الجليل: أبو سعيد عبدالرحمن بن سَمُرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي العبشمي.

هكذا نسبه مُصْعَب الزبيري، والزبير بن بكّار، ونسبه جماعة سواهما، فأسقطوا من نسبه: ربيعة، منهم: أبو عُبيد القاسم بن سَلّام ويحيى بن معين، والبخاري وابن أبي حاتم، والحاكم أبو أحمد، وأبو عبداللَّه بن منده[1].

كان اسمه عبد كلال، وقيل عبد كلول، وقيل عبد الكعبة، فغيرّه النبي ﷺ.

وأمه أروى بنت أبي الفرعة أو الفارعة وهو حارثة بن قيس بن أعيا بن مالك بن علقمة.

ولعبد الرحمن بن سمرة من الأولاد عبدالله، وعُبيدالله، وعثمان، ومحمد، وعبدالملك، وشعيب وأمّهم: هند بنت أبي العاص بن نوفل بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ.

- **إسلامه وجهاده:**

أسلم يوم فتح مكة، وشهد فتوح العراق، وهو الذي افتتح سجستان.

شهد عبدالرحمن بن سمرة فتوح العراق وأبلى فيها أعظم البلاء.

وفي خلافة عثمان بن عفان وفي سنة تسع وعشرين من الهجرة (٦٤٩م) استعمل عبداللَّه بن عامر بن كُريْز على البصرة، فاستعمل عبداللَّه بن عامر

(١) انظر ترجمته في أُسد الغابة: (٣/٤٥٠) ت (٣٣٢٣)، والإصابة: (٤/) ت (٥١٤٩)، وسير أعلام النبلاء: (٢/٥٧١).

عبدالرحمن بن سمرة على «**سجستان**» سنة إحدى وثلاثين من الهجرة، وذلك بعد انتفاض أهل سجستان، ونكث عهدهم مع المسلمين وإخراجهم عامل المسلمين قسراً[١].

سار عبدالرحمن على رأس جيشه إلى سجستان فأتى «**زرنج**» فحاصرها وحصر مرزبانها في قصره في يوم عيدٍ لهم فصالحه مرزبانها على ألفي ألف درهم وألفي وصيف.

وغلب ابن سمرة على ما بين «**زرنج**» و«**كش**» من ناحية الهند، وغلب من ناحية طريق «**الرخج**»[٢] على ما بينه وبين بلاد «**الداور**»[٣] فلما انتهى إلى بلاد «**الداور**» حصرهم في جبال «**الزور**»[٤].

ثم صالحهم، ودخل على «**الزور**» وهو صنم من ذهب عيناه ياقوتتان فقطع يده وأخذ الياقوتتين، ثم قال للمرزبان: دونك الذهب والجوهر، وإنما أردت أن أعلمك أنه لا يضر ولا ينفع.

وكان عدة من معه من المسلمين ثمانية آلاف فأصاب كل رجل منهم أربعة آلاف.

ثم سار عبدالرحمن ففتح (بُست)[٥] وكابل[٦]، و(زابلستان)[٧] وهي ولاية (غزنة)[٨]، ثم عاد إلى «**زرنج**» فأقام بها حتى اضطرب أمر عثمان فاستخلف عليها

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٣٨٦.

(٢) مدينة كبيرة من نواحي كابل.

(٣) الداور: ولاية واسعة من أرض السند ذات بلدان وقرى مجاورة لولاية (رخج) و(بست) والغور. انظر «معجم البلدان» (٤/٢٨) وسمّاها ابن الأثير الداون.

(٤) جبال الزور: جبال في بلاد الداور من أرض السند، أطلق عليها اسم صنم بهذا الاسم.

(٥) بُست: مدينة من أعمال كابل.

(٦) كابل: اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى، وهي ولاية ذات مروج بين الهند وغزنة.

(٧) زابلستان: كورة واسعة جنوب بلخ وطخارستان.

(٨) غزنة: اسمها الصحيح: غزنين، ويُقال لمجموع بلادها: زابلستان، وغزنة قصبتها، وغزنة مدينة عظيمة وولاية واسعة طرف خراسان، وهي الحد بين خراسان والهند.

أُمير بن أحمر اليشكري وانصرف، فأخرج أهلها أمير بن أحمر وامتنعوا[1].

واضطرب أمر «**سجستان**» والأفعان في أيام علي بن أبي طالب ﷺ لانشغال المسلمين وما درا بينهم من فتن.

وفي ولاية معاوية بن أبي سفيان وخلافته استعمل ابن عامر على البصرة، فولّى عبدالرحمن بن سمرة سجستان فأتاها وعلى شرطته «عباد بن الحصين» ومعه من الأشراف عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، وعبدالله بن خازم السلمي، وقطرى ابن الفجاءة، والمهلب بن أبي صفرة، والحسن البصري وذلك سنة ثلاث وأربعين الهجرية، فكان يغزو البلد قد كفر أهله، فيفتحه عنوة أو يصالح أهله حتى بلغ كابل، فلما صار إليها نزل بها فحاصر أهلها أشهرا وكان يقاتلهم ويرميهم بالمنجنيق حتى ثلم سورها ثلمة عظيمة، فبات عليها عباد بن الحصين ليلة يطاعن المشركين المدافعين عن كابل حتى أصبح دون أن يقردوا على سدَّها، وقاتل عبدالله بن حازم معه عليها، فلما كان الغد خرج أهل كابل إلى العراء يقاتلون المسلمين، فضرب عبدالله بن حازم فيلًا كان معهم فسقط على الباب الذي خرجوا منه فلم يقدروا أن يغلقوه، فدخل المسلمون المدينة عَنْوة، وقال أبو مخنف: الذي عقر الفيل المهلب. وكان الحسن البصري يقول: ما ظننت أن رجلًا يقوم مقام ألفٍ حتى رأيت عبّاد بن الحصين.

ووجّه عبدالرحمن بن سمرة ببشارة الفتح عمر بن عبيدالله بن معمر، والمهلب بن أبي صفرة، ثم خرج عبدالرحمن فقطع وادي نسل، ثم أتى خواش وقوزان «**بُست**» ففتحها عنوة، وسار إلى «**رزان**»[2]، فهرب أهلها وغلب عليها، ثم سار إلى «**خُشّك**»[3]، فصالحه أهلها، ثم أتى (الرُّخّج) فقاتلوه فظفر بهم وفتحها، ثم

---

(١) فتوح البلدان»: ص ٣٨٦، والكامل: (٣/٢٣).

(٢) رزان: يظهر أنها مدينة في منطقة كابل.

(٣) خشك: اسم بلدة في نواحي كابل.

سار إلى (زابلستان) وهي (غزنة) وأعمالها، فقاتله أهلها ـ وقد كانوا نكثوا ـ ففتحها وأصاب سبْيا، وأتى كابل وقد نكث أهلها ففتحها[١]، وفتح عبدالرحمن مدينة (نسف) أيضا[٢].

وغزا خراسان وفتح بها فتوحا[٣].

ومات بطلنا بالبصرة سنة خمسين أرّخه غير واحد، وحكى بعضهم سنة إحدى وخمسين، وبه جزم ابن عبدالبر.

قال رسول اللَّه ﷺ لعبدالرحمن بن سمرة: **«يا عبدالرحمن، لا تَسْأَل الإمارة، فإن أُعطيتها عن مسألة وُكِلْت إليها، وإن أُعطيتها عن غير مسألة أعُنْت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرًا منها، فائت الذي هو خير، وكَفِّرْ عن يمينك»**[٤].

- **الإنسان:**

كان رضي الله عنه متواضعا، فإذا كان اليوم المطير يلبس بُرْنُسا وأخذ المِسْحاة يكنس الطريق[٥].

- **القائد:**

أهم ما تتميّز به قيادة عبدالرحمن هي: سرعة القرار، وسرعة التنفيذ، وسرعة الحركة.

لقد استعاد فتح **«سجستان»** مرتين، وفتح الأفغان التي كان الأقدمون يعتبرونها

---

(١) فتوح البلدان: ص ٣٨٨.

(٢) المسالك والممالك لابن خلدون: (١٢/٣).

(٣) الإصابة: (٢٦٣/٤)، وتاريخ دمشق.

(٤) أخرجه أحمد: (٦٣/٥)، والبخاري: (١١٠/١٣) في الأحكام: باب من سأل الإمارة وُكِّل إليها و(٤٥٢/١١) في الأيمان و(٥٢٣)، ومسلم: (١٦٥٢) في الأيمان، وفي الإمارة: (١٤٥٦/٣) باب النهي عن طلب الإمارة، وأخرجه أبو داود: (٣٢٧٧)، والنسائي: (١٠/٧) في النذور: باب الكفارة قبل الحنث، والترمذي: (١٥٢٩)، وقال: حسن صحيح.

(٥) أسد الغابة: (٤٥١/٣).

جزءًا من (خراسان)، واستعاد فتحها بعد انتقاضها. و(سجستان) والأفغان مناطق شاسعة منيعة ليس من السهل فتحها أو استعادة فتحها بقوات قليلة نسبيًّا وفي وقت قصير.

إنه قائد متميز بدون شك، وكانت عقيدته الراسخة وإيمانه العميق، وشجاعته النادرة وإقدامه الثابت أركانا أساسية لقيادته.

هذا بالإضافة إلى عقليته المتزنة وشخصيته القوية وإرادته الصلبة وماضيه الناصع المجيد في الجهاد وخدمة الإسلام وتجربته الطويلة في الحروب.

لقد تهيأت له أسباب ومزايا القيادة: طبع موهوب، وعلم مكتسب، وتجربة عملية في القتال، لذلك حالف النصر راياته، فكان من القادة الذين لم يذوقوا طعم الهزيمة في حياته القتاليه. إنه من الطراز الرفيع للقادة العرب في الصدر الأول للإسلام وفي أيام الفتح الإسلامي المجيدة يُذكر عبدالرحمن كلما ذكر فتح «**سجستان**» والأفغان، وذكر رسوخ الإسلام في هذين البلدين الكبيرَيْن.

لقد كان عبدالرحمن من أوائل من نشر الإسلام في تلك الربوع كما أن بطولة شعب الأفغان ووعورة أرضه تزيد في أعجابنا بقيادة عبدالرحمن؛ لأنه استطاع أن يفتح الأفغان بقوات قليلة نسبيًّا ووقت قصير، رضي اللَّه عن القائد الفاتح، الصحابي الجليل، عبدالرحمن بن سمرة القرشي العبشمي [1].

* * *

(١) قادة فتح السند وأفغانستان للواء محمود شيت خطاب ص: ٣٤١ - ٣٤٢ - دار ابن حزم - دار الأندلس الخضراء.

(٤١٧) الصحابي القائد الفاتح الشهيد الأقرع بن حابس التميمي رضي الله عنه فاتح الجُوْزجَان[١]

هو الصحابي سيد قومه الأقرع بن حابس بن عِقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم ثم المجاشعي.

واسم الأقرع فِرَاس وإنما سُمِّي بالأقرع لفرع كان برأسه وكان أعرج[٢].

وأمه: فطيمة بنت حوى بن سفيان بن مجاشع[٣].

كان الأقرع سيد قومه في الجاهلية، وكان حكما في الجاهلية، وكان شريفا في الجاهلية وفي الإسلام، وذكر ابن الكلبي أنه كان مجوسيا قبل أن يُسلم[٤].

- **إسلامه وجهاده:**

قال ابن إسحاق: وفد على النبي ﷺ، وشهد فتح مكة وحُنينا والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه.

وفي سنة ٩ هـ لما قدم وفد تميم على النبي ﷺ وقدموا المدينة كان معهم الأقرع ابن حابس.

وأعطى النبي ﷺ من غنائم حنين الأقرع بن حابس مائة من الإبل تأليفا لقلبه.

قال ابن إسحاق: وحدثني عبدالله بن أبي بكر بن حزم وغيره قالوا: كان من عطاء رسول الله ﷺ من أصحاب المئين من المؤلفة قلوبهم الأقرع بن حابس مائة

---

(١) الجوزجان: اسم للناحية، وهي كورة واسعة من كورة «بَلْخ» بخراسان تقع بين «مرو الرُّذ» وبلخ، وفيها عدة مدن منها مدينة (الجوزجان) التي أطلق اسمها على الكورة، وبين مدينة بلخ والجوزجان تسعة عشر فرسخا، وهي ناحية كثيرة الخصب.

(٢) انظر الإصابة: (١/٢٥٢) ت (٢٣١)، وأسد الغابة: (١/٢٦٤) ت (٢٠٨)، والطبقات الكبرى: (٧/٢٧) ت (٢٨٦١)، وتاريخ دمشق: (٩/١٨٤) ت (٧٩٧).

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: (١٧٨).

(٤) الإصابة: (١/٢٥٣، ٢٥٤)، وأسد العابة: (١/٢٦٧).

من الإبل[١].

ولما أصاب عُيينة بن حصن من بني العَنْبر قدم وفدهم، فذكر القصة، وفيها: فكلّم الأقرع بن حابس رسول اللَّه ﷺ في السبي، وكان بالمدينة قبل قدوم السبي، فنازعه عيينة بن حصن، وفي ذلك يقول الفرزدق:

وعِندَ رسول اللَّه قام ابن حابس بَخُطَّةِ إسْوَارٍ إلى المجد حازم
له أطلق الأسرى التي في قيودها مُغَلَّلةٌ أعناقها في الشَّكائِم[٢]

وقد نال الأقرع أعظم الشرف بقتاله مع النبي ﷺ وتحت لوائه.

شهد الأقرع قتال المرتدين مع خالد بن الوليد، وشهد مع اليمامة سنة ١١ هـ لقتال مسيلمة الكذّاب كما شهد غيرها من حروب الردّة.

وسار مع خالد إلى العراق وشهد معه المشاهد كلها، وفي فتح «**الأنبار**» كان على مقدمة جيش خالد، وسار مع خالد إلى عين التمر وشهد فتح «**دومة الجندل**».

وأولى الأقوال أنه سار مع خالد من العراق إلى الشام، ويؤيد هذا ما نقله ابن حجر في الإصابة وقوله: «وقرأت بخط الرضيّ الشاطبي قتل الأقرع بن حابس باليرموك في عشرة من بنيه»[٣] وهذا وإن لم يصح فإنه يعني في أقل حالاته شهود الأقرع اليرموك وذهابه مع خالد من العراق إلى الشام.

وقد كان لبني تميم أعظم البلاء في قتال فارس فلا بد أن الأقرع وهو من ساداتهم قد أبلى أحسن البلاء والدليل على ذلك اختيار الأحنف بن قيس للأقرع ابن حابس لتولي قيادة جيش من جيوش المسلمين سنة ٣١ هـ، جمع له أهل طخارستان، فاجتمع أهل الجَوْزجان والطالقان، والفارياب، ومَن حَوْلهم في خلق

---

(١) تاريخ دمشق: (١٩٤/٩).
(٢) الإصابة: (٢٥٣/١ - ٢٥٤)، وديوان الفرزدق.
(٣) الإصابة: (٢٥٤/١).

كثير فالتقوا، واقتتلوا، وحمل ملك الصغانيان على الأحنف فانتزع الأحنف الرمح من يده وقاتل قتالا شديدا فانهزم المشركون وقتلهم المسلمون قتالًا ذريعًا كيف شاؤوا، وعاد إلى مرور الروذ، ولحق بعض العدو بالجوزجان، فوجّه إليهم الأحنف الأقرع بن حابس التميمي في خيل وقال: يا بني تميم تحابُّوا وتباذلوا تعدل أموركم، وابدأوا بجهاد بطونكم وفروجكم يصلح لكم دينكم، ولا تغلّوا يسلم لكم جهادكم.

فسار الأقرع فلقي العدو بالجوزجان فكانت بالمسلمين جولة ثم عادوا فهزموا المشركين وفتحوا الجوزجان عَنْوة، فقال ابن العزيزه النهشلي:

سقى صوب السحاب إذا اسْتَهَلَّتْ مصارعَ فتية بالجوزجان
إلى القصرين من رستاق خُوْط[١] أقادهم هناك الأقرعان[٢]

وبعد ذلك استعمله عبدالله بن عامر على جيش سيّره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان هو والجيش[٣] وذلك في زمن عثمان. ومعنى ذلك أن استشهاد الأقرع كان سنة ثلاث وثلاثين الهجرية أو أربع وثلاثين أو خمس وثلاثين الهجرية. ونال الأقرع الشهادة لتنتهي حياته أشرف وأعظم نهاية.

- **الأقرع قائدا:**

كان الأقرع رئيسا من رؤساء بني تميم، وهي من القبائل العربية الكبيرة ذات التاريخ العريق في المجال العسكري قبل الإسلام وبعده، وكانت القبائل تقاتل بقيادة رئيسها في الجاهلية وفي أيام الإسلام، فلا بد من أنّ الأقرع مارس القيادة العملية في ميادين القتال أيام الجاهلية، وفي ميادين الجهاد أيام الإسلام، ولكن الذين كتبوا عنه أهملوا تفاصيل المعارك التي خاضها وأثره القيادي فيها وتأثيره في نتائج القتال، ولم

---

(١) خوط: قرية من قرى بلخ.
(٢) الكامل: (٣/٢٠ - ٢١)، وانظر الطبري: (٤/٣١٢).
(٣) أسد الغابة: (١/٢٦٧)، والإصابة: (١/٢٥٤).

يذكروا له غير موقفينْ قياديينْ:

الأول: قيادة المقدمة لجيش خالد بن الوليد في فتح (الأنبار)، والثاني مطاردة فلول القوات الفارسية إلى(الجوزجان)، وفتح هذه المنطقة الواسعة الغنية تلك القوات التي كبدّها الأحنف بن قيس التميمي خسائر فادحة بالأرواح والمواد، فتركت ميدان المعركة وانسحبت إلى «**الجوزجان**».

إن تولى الأقرع القيادة للأحنف بن قيس وخالد بن الوليد لدليل على كفايته العالية، ما في ذلك أدنى شك، فليس كل قائد يستطيع العمل بإمرة خالد بن الوليد، ولا كل قائد يقدر على العمل بإمرته، ولا يوليّ خالد كلّ من هبّ ودبّ منصبا قياديا.

ومن المعلوم أن واجبات المقدّمة هي: الحصول على المعلومات المفصّلة عن العدو، وحرمان العدو من الحصول على المعلومات المفصلة عن القوات، وحماية القوات في تقدمها، وفي معسكرها، وإدخال الجيش في المعركة بأمان.

وهذه الواجبات المعلومة بحاجة إلى قائد ماهر، تميّز بالذكاء، والشجاعة والإقدام، وحضور البديهة، وبمعرفة مبادئ الحرب؛ والاندفاع، وسرعة الحركة، والقابلية على تحمّل أعباء القتال، وبإتقان الفروسية إتقانًا متفوّقًا، وبتحمل المسؤولية كاملة بلا تردّد. هذا بالإضافة إلى قوة الشخصية، والإرادة القوية، والقابلية على إصدار القرارات السريعة السليمة، والماضي القيادي.

أما واجبات قوات المطاردة، فتحتاج إلى قائد قدير على قلب الانسحاب إلى هزيمة، وتحطيم قوة العدو ماديا ومعنويا لإجباره على الاستسلام والرضوخ لشروط المنتصر، وإلى قائد يتميز بحب المغامرة والاندفاع بسرعة فائقة عمقا، بالإضافة إلى صفات القائد الأخرى بصورة عامة، وإلى قائد المقدمة بصورة خاصة.

ونستطيع أن نستنتج أن الأقرع كان قائدا قديرًا على إصدار القرارات الصائبة السريعة، قادرًا على وضعها في حيّز التنفيذ، ذكيا ألمعيّ الذكاء، شجاعًا مقدامًا

جسورا، حاضر البديهة، عارفًا بمبادئ الحرب، مندفعًا سريع الحركة، مغامرًا من غير تهوّر، فارسًا لامعا. وهو فوق ذلك يتحمل المسؤولية كما يتحملها الرجال.

وأخيرًا، توّج الأقرع حياته بالشهادة، فرضي اللّه عن الفارس المغوار القائد الفاتح، الشهيد البطل الأقرع بن حابس التميمي(١).

* * *

(١) قادة فتح السند وأفغانستان: ص ٣٧٩ - ٣٨١.

(٤١٨) الصحابي القائد الفاتح الورع
الحكم بن عمرو الغِفَاري رضي الله عنه
فاتح الصَغَانيان[١] والرائد الأول لفتح بلاد ما وراء النهر

هو الصحابي الحكم بن عمرو بن مجدَّع بن جِذْيَم بن الحارث بن نُعيلة بن مُليك بن ضَمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ونُعيلة أخو غفار.

وهو أخو الصحابي رافع بن عمرو الغفاري.

صحب الحكم بن عمرو النبي ﷺ حتى قُبِض النبي ﷺ، ثم تحول إلى البصرة فنزلها[٢].

- **جهاده:**

في سنة ٤٥ هجرية ولىّ زياد بن أبي سفيان الحكم بن عمرو رضي الله عنه خراسان. وكان زياد قال لحاجبه: ادع لي الحكم - يريد الحكم بن أبي العاص الثقفي ليوليه خرسان، فخرج حاجبه فرأى الحكم بن عمرو الغفاري فاستدعاه، فحين رآه زياد قال له: ما أردتك ولكن اللَّه أرادك فولّاه خراسان، وجعل معه رجالًا على جباية الخراج.

وغزا الحكم (طخارستان)[٣] فغنم غنائم كثيرة.

- **غزوة الغور[٤]**

في سنة ٤٧ هـ سار الحكم بن عمرو إلى جبال «**الغور**» فغزا مَن بها وكانوا ارتدّوا فأخذهم بالسيف عَنْوة، وفتحها وأصاب منها مغانمة كثيرة وسبايا.

---

(١) الصَغَانيان: ولاية عظيمة بما وراء النهر «نهر جيحون» متصلة الأعمال بترمذ.

(٢) البطقات الكبرى لابن سعد: (٢١/٧).

(٣) طخارسان: ولاية واسعة كبيرة تشتمل على عدة بلاد، وهي من نواحي خراسان.

(٤) الغور: جبال وولاية بين هراة وغزنة.

وكان الحكم قد قطع النهر في ولايته ولم يفتح، وكان أول المسلمين شرب من النهر مولى للحكم اغترف بترسه فشرب وناول الحكم فشرب وتوضأ وصلى ركعتين، وكان أول المسلمين فعل ذلك ثم رجع.

وكان المُهَلّب بن أبي صُفْرة مع الحكم بخراسان، فغزا معه بعض جبال الترك وغزا معه جبل (الأشل)[(١)] من جبال الترك إلا أن الترك أخذوا عليهم الشعاب والطُّرق، فعيي الحكم بالأمر، فوليّ المهلب الحرب، فلم يزل المهلب يحتال حتى أسر عظيما من عُظماء الترك فقال له: إمّا أن تُخرجنا من هذا الضيق أو لأقتلنك. فقال له: أوقِد النار حيال طريق من هذه الطرق وسيِّر الأثقال نحوه فإنهم سيجتمعون فيه ويخلون ما سواه من الطرق فبادرهم إلى طريق أخرى فما يدركونكم حتى تخرجوا منه.

ففعل ذلك فسَلِم الناس بما معهم من الغنائم[(٢)].

- **القائد مجاب الدعوة، الورع عن مال المجاهدين، الآمر بالمعروف:**

وفي سنة ٥٠ هـ تُوفيّ الحكم بن عمرو الغفاري بمرو بعد انصرافه من غزوة جبل (الأشلّ) وكان زياد قد كتب إليه أن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسّم بين الناس ذهبًا ولا فضّة، فكتب إليه الحكم: «بلغني ما أمر به أمير المؤمنين، وإني وجدتُ كتاب اللَّه قبل كتابه وإنه واللَّه لو أن السماوات والأرض كانتا رتقًا على عبد ثم اتقى اللَّه لجعل له فرجًا ومخرجًا» ثم قال للناس: «**اغدوا على أعطياتكم ومالكم**» فقسّمه بينهم ثم قال: «**اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني إليك**» فتوفي بمرو[(٣)].

---

(١) الأشل: جبل في ثغور خراسان، انظر معجم البلدان: (١/٢٦٠).

(٢) الكامل: (٣/٣٠٨، ٣١١ - ٣١٢).

(٣) الكامل: (٣/٣٢٤)، والطبري: (٤/١٨٧)، والبلاذري: (٤٠٠)، وصفة الصفوة: (١/٢٧٩)، وفي طبقات ابن سعد: (٧/٢١): ثم قال للناس: «أعدو على فيئكم فاقسموه».

كان الحكم أول من صلّى من وراء النهر وهو الذي فتح الصغانيان.

قال عبداللَّه بن المبارك لرجل من أهل الصغانيان كان يطلب الحديث: أتدري مَن فتح بلادك؟ قال: لا قال: فتحها الحكم بن عمرو والغفاري[1].

«ومن الواضح أن غزو (الصَغَانيان) كان سنة ثمان وأربعين الهجرية (٦٦٨م) أو سنة تسع وأربعين الهجرية (٦٦٩م)، لأن الحكم رجع من غزو جبال «**الغور**» سنة سبع وأربعين الهجرية (٦٦٧م)، ومات سنة خمسين الهجرية (٦٧٠م) على أرجح الأقوال، فكانت سنة ثمان وأربعين الهجرية وتسع وأربعين الهجرية هي المدة التي بقيت من حياته للنهوض بفتح «**الصغانيان**»، لأنه قضى سنة خمسين الهجرية آخر سنيّ حياته في غزو جبل «**الأشل**» ثانية، فلما عاد من غزوته مات»[2].

- **الحكمُ قائدا:**

«كان الحكم رجلا قائدًا عقيديًّا، لا يخضع إلّا للحق والمصلحة العليا للمسلمين، ولا يُطيع مخلوقًا في معصية الخالق.

وكان يتحليّ بشخصية قوية ناقدة، له مبادئ يطبّقها ولا يحيد عنها.

وكان شجاعًا مقداما ومجاهدًا صادقًا، له إرادة صلبة، ولم يكن متسرّعًا في قراراته، بل كان قائدًا مكيثا، له ماض ناصع مجيد.

وكان يستشير رجاله في الملمات، ويأخذ بآرائهم السديدة، ويولّي ذوي الكفايات القيادية العالية مهام القتال عند الحاجة، حتى ولو كان المعزول عن القيادة بأمره هو نفسه، غير متلفت إلى ما يجرّه تخليه عن القيادة لغيره في أحرج الظروف من تهم وتقوّلات.

ولم أجد غيره من القادة تخلّى عن قادته بمحض إرادته لغيره، وجعل نفسه

---

(١) فتوح البلدان للبلاذري: ص ٤٠٠.

(٢) قادة فتح بلاد ما وراء النهر: ص ١١٨.

بإمرة القائد الذي اختاره عن طيب خاطر غير الحكم بن عمرو الغفاري، مما يدلّ على شدة إخلاصه للمصلحة العامة ومحاسبته نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون.

لقد كان قائدًا يضع مصالح رجاله والمسلمين فوق مصالح نفسه، بل كان ينسى مصالح نفسه دائمًا من أجل مصالح رجاله المسلمين.

لقد كان قائدًا متميزا من طراز رفيع.

يذكر التاريخ للحكم أنه أول من عبر إلى ما وراء النهر من المسلمين، فكان الرائد الأول لفتح تلك المناطق الشاسعة.

ويذكر له أنه أول من عزل نفسه مختارًا عن القيادة، وولىّ غيره وخضع للقائد الجديد طائعًا مختارا.

رضي اللَّه عن الصحابي الجليل، القوي الأمين، الإداري الحازم، القائد الفاتح، الحكم بن عمرو الغفاري»[١].

* * *

(١) قادة فتح بلاد ما وراء النهر: ص ١٢٠، ١٢١.